الكاهن والعقوبَة[1]

ليست العقوبة ضد المحبة. بل قد تكون دليلًا على المحبة.

وذلك للتأديب والتقويم، وإشعار الخاطئ بأنه قد أخطأ خطأ يستحق العقوبة. وقد قال القديس بولس الرسول: "أَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟" (عب١٢: ٧). وقال: "الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ" (عب١٢: ٦)، (أم٣: ١٢).

وللكاهن سلطان أن يعاقب وأن يوبخ.

وقد قال الكتاب في ذلك: "وَبِّخِ، انْتَهِرْ، عِظْ" (٢تي٤: ٢). وتقول الدسقولية: "أيها الأسقف: كما أعطيت سلطانًا أن تحل، كذلك أعطيت سلطانًا أن تربط". وقال السيد الرب عن الشخص الذي يرفض حكم الكنيسة: "إِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ" (مت١٨: ١٧). وقد عاقب الرب عالي الكاهن وقطعه ونسله من الكهنوت، لأنه لم يؤدب أولاده حسنًا" (١صم٣: ١٣) (١صم ٤: ١١).

وقد مارس الآباء الرسل معاقبة الخطاة.

مثلما عاقب القديس بولس الرسول خاطئ كورنثوس وأمر بعزله من جماعة المؤمنين (١كو٥: ٥، ١٣). ثم عاد وعفا عنه. وقال لأهل كورنثوس: "مِثْلُ هَذَا يَكْفِيهِ هَذَا الْقِصَاصُ الَّذِي مِنَ الأَكْثَرِينَ، حَتَّى تَكُونُوا بِالْعَكْسِ تُسَامِحُونَهُ بِالْحَرِيِّ...، لِئَلاَّ يُبْتَلَعَ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْحُزْنِ الْمُفْرِطِ" (٢كو٢: ٦، ٧).
وقد عاقب القديس بطرس حنانيا وسفيرا بعقوبة شديدة جدًا (أع٥: ٣ ـ ٩)، كان لها أثرها في أن جعلت الآخرين يحرصون. وقيل في ذلك: "فَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْكَنِيسَةِ وَعَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذَلِكَ" (أع٥: ١١). كما عاقب بولس الرسول أيضًا عليم الساحر (أع١٣: ٩ ـ ١١).

وكان سبب العقوبة وأيضًا نتيجتها، أن تحتفظ الكنيسة بقدسيتها، ويرتدع الباقون.

وفي ذلك قال القديس بولس لتلميذه تيموثاوس الأسقف: "اَلَّذِينَ يُخْطِئُونَ وَبِّخْهُمْ أَمَامَ الْجَمِيعِ لِكَيْ يَكُونَ عِنْدَ الْبَاقِينَ خَوْفٌ" (١تي٥: ٢٠).

---

[1] مقال لقداسة البابا شنوده الثالث "صفحة الرعاية – الكاهن والعقوبة"، نُشر بمجلة الكرازة ٢ فبراير ١٩٩٦م.

وتوجد عقوبات كثيرة ذُكرت في سفر الرؤيا منها عقوبة إيزابل الخاطئة (رؤ٢: ٢٠ ـ ٢٣)، ودينونة المدن التي شُبهت بامرأة جالسة على وحش (رؤ١٧). ودينونة المدينة العظيمة بابل (رؤ١٨: ١٠). يضاف إلى هذا ما قيل عن أبواق الملائكة (رؤ٨).

وللعقوبة جذور في العهد القديم

منها عقوبة الطوفان (تك٦)، والعقوبة التي وقعت على أهل سدوم (تك١٩). والعقوبة التي وقعت على قورح وداثان وابيرام (عد١٦: ٣١ ـ ٣٥). بل قد عوقب داود النبي أيضًا حينما أخطأ (٢صم١٢).

غير أن العقوبة لها درجات طبقًا لدرجة الخطأ.

ويجب أن تكون العقوبة على قدر الفعل. وكتب قوانين الكنيسة حافلة بالعقوبات التي أصدرتها المجامع المقدسة المسكونية والمكانية. ومنها التجريد، والقطع من جسم الكنيسة. والحرمان من بعض أسرار الكنيسة، والفرز... وكانت ترتبط في القديم بنظام الخوارس في الكنائس قديمًا.

وليس صحيحًا ما يحاول البعض أن يشيعه في جهل، من أن العقوبة للهرطقة فقط!!

فمع أن قانون الكنيسة يأمر بأنه لا توقع عقوبتان على خطية واحدة، إلا أن الهرطقة تتجمع فيها كل العقوبات بحيث يتم فيها التجريد من كل الرتب الكهنوتية، والحرمان من كل الأسرار، والقطع من جسم الكنيسة بالكلية.

وهناك عقوبات يلزمها محاكمة، وعقوبات تصدر تلقائيًا.

فمثلًا إذا تزوج كاهن، أو تزوج شماس (دياكون)، بعد سيامته، تسقط عنه درجة الكهنوت تلقائيًا بحكم القانون وبدون محاكمة.

وإذا كسر راهب نذره وتزوج، تسقط عنه صفة الرهبنة.

أما من جهة العقوبات التي يوقعها الأب الكاهن على أبنائه في الاعتراف:

فهي من حقه وسلطانه، بل هي أحيانًا تكون من واجبه. وكثيرًا ما يحدث أن معترفًا يطلب من أبيه الروحي أن يوقع عليه عقوبة، لأنه يشعر بفائدتها، وبها يستريح ضميره. وإن لم يفعل الأب الكاهن ذلك، نرى المعترف يوقع العقوبة على نفسه، ويؤدبها إن لم يؤدبه أبوه...

على أن الكاهن يجب أن تكون عقوبته في حدود احتمال المعترف.

ولا يلقي عليه ثقلًا لا يستطيع احتماله، ولا عقوبة لا يستطيع تنفيذها. كما أن العقوبة يجب أن تتناسب أيضًا مع ظروفه.

وهناك شروط أخرى للعقوبة، منها:

أ) أن يشعر المعترف أنه قد أخطأ، وأنه يستحق العقوبة.

ب) وأن يقتنع بالعقوبة، وينفذها برضى.

ج) ويرى أنها لعلاجه ولفائدته الروحية.

د) لا تصدر عقوبة على كل خطأ، وإلا صارت الحياة كلها عقوبات. كما قال المرتل في المزمور: "إن كنتَ للآثامِ راصدًا يا رَبُّ، يا رَبُّ مَن يَثبُتُ؟! لأنّ مِن عِندِكَ المَغفرَةَ" (مز ١٣٠: ٣، ٤).

وهناك أمور لا تحتاج إلى عقوبة. ويكفي فيها النصح والتوجيه، كما تقول الدسقولية: "امح الذنب بالتعليم".

عقوبة الحرم:

*يجب تحديد نوعية الحرم، لأن هذه العبارة ــ بأسلوب مطلق ـ تعني أشياء كثيرة...! فمثلًا يمكن حرمان إنسان من التناول لفترة محددة، أو حرمانه من الخدمة في الكنيسة أو من التعليم، إذا كان يخطئ في التعليم، أو من علاقات معينة هي سبب سقوطه...

* ولا يصح أن يستخدم عبارة الحرمان بطريقة تنفر أو تخيف الناس من الكهنوت...

* ولا يجوز للكاهن أن يصدر حرمانًا في ساعة غضب، أو لسبب شخصي، أو بغير علم، أو ظلمًا... ولا يكثر من استخدام عبارة "لا حِل ولا إجازة" في أمور ربما تكون تافهة، أو ربما لا تكون من اختصاصه.

* ولا يجوز أن تكون العقوبة سببًا في زوال المحبة بين المخطئ والأب الكاهن، ولا سببًا في زوال الثقة. وإلا فإن عمل الكاهن الرعوي والروحي سينتهي مع مثل هذا الخاطئ.

هناك اشتراطات وقائية لضمان سلامة العقوبات.

منها إن الكاهن – كما قال الكتاب – لا يكون غضوبًا ولا ضرابًا (تي١: ٧، ٨). كذلك لا يكون متصلفًا. بل يتصف بالعدل، ويفصل كلمة الحق باستقامة (٢تي٢: ١٥). وأن يكون محبًا، من المعروف عنه أن يعامل الناس بالرفق واللين. ويكون طويل الأناة واسع الصدر، وصالحًا للتعليم (١تي٣: ٢). ودارسًا للتعليم الصحيح ولوصية الله، ومن فمه تؤخذ الشريعة (ملا٢: ٧).